**اسم المادة الدراسية باللغة العربية : عصر الرسالة**

**اسم المادة الدراسية باللغة الانكليزية : History of the Prophetical Period**

**اسم المحاضرة : الجهر بالدعوة وأساليب المشركين في محاربتها**

**اسم التدريسي : أ.د.مظهر عبد علي**

**المستوى الدراسي : الأول**

**الدراسة : الصباحية**

**الأسبوع : الثالث**

**الجهر بالدعوة الإسلامية :**

بعد الإعداد العظيم الذي قام به النبي صلى الله عليه وسلم لتربية أصحابه , وبناء الجماعة المسلمة المنظمة الأولى على أسس عقدية , وتعبدية وخلقية رفيعة المستوى , حان موعد إعلان الدعوة بنزول قول الله تعالى: (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقْرَبِينَ - وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) [الشعراء: 214، 215] ، فجمع قبيلته صلى الله عليه وسلم وعشيرته , ودعاهم علانية إلى الإيمان بإله واحد ، وخوَّفهم من العذاب الشديد إن عصوه ، وأمرهم بإنقاذ أنفسهم من النار، وبين لهم مسؤولية كل إنسان عن نفسه .

عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: لما نزلت (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقْرَبِينَ) صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي: «يا بني فهر، يا بني عدي» لبطون قريش - حتى اجتمعوا ، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب ، وقريش ، فقال: «أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟» قالوا: نعم ، ما جربنا عليك إلا صدقاً ، قال: «فإنني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب: تبّاً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزلت (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ) ، وفي رواية - ناداهم بطناً بطناً ، ويقول لكل بطن: «أنقذوا أنفسكم من النار .... » ثم قال: «يا فاطمة أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً غير أن لكم رحما سأبُلها ببلالها» .

كان القرشيون واقعيين عمليين ، فلما رأوا محمداً صلى الله عليه وسلم وهو الصادق الأمين ، قد وقف على جبل يرى ما أمامه ، وينظر إلى ما وراءه ، وهم ما يرون إلا ما هو أمامهم ، فهداهم إنصافهم وذكاؤهم إلى تصديقه ، فقالوا: نعم ، ولما تمت هذه المرحلية الطبيعية البدائية ، وتحققت شهادة المستمعين , قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإنني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» وكان ذلك تعريفاً بمقام النبوة ، وما ينفرد به من علم بالحقائق الغيبية والعلوم الوهبية ، وموعظة وإنذاراً ، في حكمة وبلاغة ، لا نظير لهما في تاريخ الديانات والنبوات ، فلم تكن طريق أقصر من هذا الطريق ، ولا أسلوب أوضح من هذا الأسلوب ، فسكت القوم ولكن أبا لهب قال: تباً لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا؟ .. وبهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد وضع للأمة أسس الإعلام , فقد اختار مكاناً عالياً وهو الجبل ليقف عليه , وينادي على جميع الناس فيصل صوته إلى الجميع ، وهذا ما تفعله محطات الإرسال في عصرنا الحديث , لتزيد من عمليات الانتشار الإذاعي ، ثم اختار لدعوته الأساس المتين ليبني عليه كلامه وهو الصدق ؛ وبهذا يكون صلى الله عليه وسلم قد علم رجال الإعلام والدعوة أن الاتصال بالناس بهدف إعلامهم أو دعوتهم ، يجب أن يعتمد وبصفة أساسية على الثقة التامة بين المرسل والمستقبل , أو بين مصدر الرسالة والجمهور الذي يتلقى الرسالة، كما أن المضمون أو المحتوى يجب أن يكون صادقاً لا كذب فيه .

ثم جاءت مرحلة أخرى بعدها ، فأصبح يدعو فيها كل من يلتقي به من الناس على اختلاف قبائلهم وبلدانهم ويتبع الناس في أنديتهم ، ومجامعهم ومحافلهم ، وفي المواسم ومواقف الحج ، ويدعو من لقيه من حر وعبد ، وقوي وضعيف ، وغني وفقير , حين نزول قوله تعالى: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ - إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ - الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ - وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ) [الحجر: 94 - 97] .

كانت النتيجة لهذا الصدع هي الصد والإعراض والسخرية والإيذاء والتكذيب ، والكيد المدبر المدروس ، وقد اشتد الصراع بين النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه , وبين شيوخ الوثنية وزعمائها ، وأصبح الناس في مكة يتناقلون أخبار ذلك الصراع في كل مكان ، وكان هذا في حد ذاته مكسباً عظيماً للدعوة ، ساهم فيه أشد وألد أعدائها , ممن كان يشيعون في القبائل قالة السوء عنها ، فليس كل الناس يسلمون بدعاوي زعماء الكفر والشرك ، كانت الوسيلة الإعلامية في ذلك العصر تناقل الناس للأخبار مشافهة , وسمع القاصي والداني بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وصار هذا الحدث العظيم حديث الناس في المجالس ونوادي القبائل ، وفي بيوت الناس .

**أهم اعتراضات المشركين :**

كانت أهم اعتراضات زعماء الشرك موجهة نحو وحدانية الله تعالى ، والإيمان باليوم الآخر، ورسالة النبي صلى الله عليه وسلم ، والقرآن الكريم الذي أنزل عليه من رب العالمين ، وفيما يلي تفصيل لهذه الاعتراضات والرد عليها :

**1- اعتراضهم على الوحدانية :**

لم يكن كفار مكة ينكرون بأن الله خلقهم وخلق كل شيء: قال تعالى: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الْحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) [لقمان: 25] . لكنهم كانوا يعبدون الأصنام ، ويزعمون أنها تقربهم إلى الله ، قال تعالى: (أَلاَ للهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ) [الزمر: 3] .

وقد انتقلت عبادة الأصنام إليهم من الأمم المجاورة لهم ، ولهذا قابلوا الدعوة إلى التوحيد بأعظم إنكار وأشد استغراب ، قال تعالى: (وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنْذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ - أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ - وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ - مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآَخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاَقٌ) [ص: 4 - 7] .

ولم يكن تصورهم لله تعالى ولعلاقته بخلقه صحيحاً ، إذ كانوا يزعمون أن لله تعالى صاحبة من الجن ، وأنها ولدت الملائكة ، وأن الملائكة بنات الله - تعالى الله عما يقولون علوّاً كبيراً ، فكانت الآيات تنزل مبيِّنة أن الله عز وجل خلق الجن والملائكة كما خلق الإنس ، وأنه لم يتخذ ولداً ، ولم تكن له صاحبة , قال تعالى: (وَجَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ - بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [الأنعام: 100 - 101] ، ومبينةٌ أن الجن يقرون لله بالعبودية ، وينكرون أن يكون بينهم وبينه علاقة نسب: (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) [الصافات: 158] ، ومطالبةً المشركين باتباع الحق وعدم القول بالظنون والأوهام: (إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآَخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلاَئِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنْثَى - وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا) [النجم: 27 - 28] ، وموضحةً أنه لا يعقل أن يمنح الله المشركين البنين ، ويكون له بنات ، وهن أدنى قيمة في رأيهم من البنين: (أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا) [الإسراء: 40] ، ومحملةً المشركين مسئولية أقوالهم التي لا تقوم على دليل: (وَجَعَلُوا الْمَلاَئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ) [الزخرف: 19] .

**2- كفرهم بالآخرة :**

أما دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان باليوم الآخر، فقد قابلها المشركون بالسخرية والتكذيب: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ - أَفْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآَخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلاَلِ الْبَعِيدِ) [سبأ: 7 - 8] فقد كانوا ينكرون بعث الموتى: (وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) [الأنعام: 29] ، ويقسمون على ذلك بالأيمان المغلظة ، (وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ - لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ) [النحل: 38، 39] ، وكانوا يظنون أنه لا توجد حياة في غير الدنيا , ويطلبون إحياء آبائهم ليصدقوا بالآخرة ، قال تعالى: (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ - وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ - قُلِ اللهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ - وَللهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ) [الجاثية: 24 - 27] ، وفاتهم أن الذي خلقهم أول مرة قادر على أن يحييهم يوم القيامة , قال مجاهد وغيره: جاء أُبي بن خلف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده عظم رميم ، وهو يفتته ويذروه في الهواء ، وهو يقول: يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا؟ قال صلى الله عليه وسلم: «نعم يميتك الله تعالى ، ثم يبعثك ، ثم يحشرك إلى النار» ونزلت هذه الآيات (أَوَ لَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ - وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ - قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) [يس: 77 - 79] .

كانت أساليب القرآن الكريم في إقناع الناس بالبعث اعتمدت على خطاب العقل ، والانسجام مع الفطرة ، والتجاوب مع القلوب ، فقد ذكَّر الله عباده أن حكمته تقتضي بعث العباد للجزاء والحساب ، فإن الله خلق الخلق لعبادته، وأرسل الرسل , وأنزل الكتب , لبيان الطريق الذي به يعبدونه ويطيعونه ويتبعون أمره ويجتنبون نهيه ، فمن العباد من رفض الاستقامة على طاعة الله ، وطغى وبغى ، أفليس بعد أن يموت الطالح والصالح , ولا بد أن يجزي الله المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته , قال تعالى: (أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ - مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ - أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ - إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ) [القلم:35 - 38] إن الملاحدة الذين ظلموا أنفسهم هم الذين يظنون الكون خلق عبثاً وباطلاً لا لحكمة ، وأنه لا فرق بين مصير المؤمن المصلح والكافر المفسد ، ولا بين التقي والفاجر ، قال تعالى: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ - أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ) [ص: 27، 28] .

وضرب القرآن الكريم للناس الأمثلة في إحياء الأرض بالنبات , وإن الذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على إعادة الحياة إلى الجثث الهامدة والعظام البالية (فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْييِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [الروم: 50] .

وذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه إحياء بعض الأموات في هذه الحياة الدنيا ، فأخبر الناس في كتابه عن أصحاب الكهف , بأنه ضرب على آذانهم في الكهف ثلاثمائة وتسع سنين , ثم قاموا من رقدتهم بعد تلك الأزمان المتطاولة , قال تعالى: (ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا) [الكهف: 12] ، (وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَم لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلاَ يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا) [الكهف: 19] ، (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاَثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا) [الكهف: 25] ، وغير ذلك من الأدلة والبراهين التي استخدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم في مناظراته مع زعماء الكفر والشرك .

**اعتراضهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم :**

اعترضوا على شخص الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد كانوا يتصورون أن الرسول لا يكون بشراً مثلهم ، وأنه ينبغي أن يكون ملكاً ، أو مصحوباً بالملائكة: (وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَّسُولاً) [الإسراء: 94] (وَقَالُوا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأمْرُ ثُمَّ لاَ يُنْظَرُونَ) [الأنعام:8] (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ) [الأنعام:9] أي لو بعثنا إلى البشر رسولاً من الملائكة لكان على هيئة الرجل يمكنهم مخاطبته والأخذ عنه ، ولو كان كذلك لالتبس عليهم الأمر كما هم يلبسون على أنفسهم في قبول رسالة البشر , وكانوا يريدون رسولاً لا يحتاج إلى طعام وسعى في الأسواق: (وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأسْوَاقِ لَوْلاَ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا - أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا) [الفرقان: 7، 8] وكأنهم لم يسمعوا بأن الرسل جميعاً كانوا يأكلون ويسعون ويعملون (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا) [الفرقان: 20] ، ويريدون أن يكون الرسول كثير المال كبيراً في أعينهم: (وَقَالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) [الزخرف: 31] ، يريدون الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف .

ونسبوا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الجنون: (وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ - لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) [الحجر: 6،7] (أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ - ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ) [الدخان: 13، 14] ، ورد الله عليهم بقوله: (مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ) [القلم: 2] ، كما نسبوه إلى الكهانة والشعر: (فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلاَ مَجْنُونٍ - أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ) [الطور: 29، 30] ، كما أنهم كانوا يعلمون أنه لا ينظم الشعر، وأنه راجح العقل ، وأن ما يقوله بعيد عن سجع الكهان وقول السحرة .

ونسبوه صلى الله عليه وسلم إلى السحر والكذب: (وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنْذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ) [ص: 4]. (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا - انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأمْثَالَ فَضَلُّوا فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً) [الإسراء: 47، 48] ، وكانت الآيات تتنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم تفند مزاعم المشركين ، وتبين له أن الرسل السابقين استهزئ بهم ، وأن العذاب عاقبة المستهزئين: (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) [الأنعام: 10] وتعلمه أن المشركين لا يكذبون شخصه ، ولكنهم يكذبون رسالته ، ويدفعون آيات الله بتلك الأقاويل: (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ) [الأنعام: 33] .

**موقفهم من القرآن الكريم :**

كذلك لم يصدقوا أن القرآن الكريم منزل من الله واعتبروه ضرباً من الشعر الذي كان ينظمه الشعراء ، مع أن كل من قارن بين القرآن وبين أشعار العرب يعلم أنه مختلف عنها: (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ - لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ) [يس: 69، 70] وكيف يكون القرآن شعرًا وقد نزل فيه ذم للشعراء الذين يضلون الناس , ويقولون خلاف الحقيقة (وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ - أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ - وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ) [الشعراء: 224 - 226] .

فهو كلام الله المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم وليس شبيهاً بقول الشعراء ، ولا بقول الكهان: (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ - وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ - وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ - تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ) [الحاقة: 40 - 43] .

وقد أدرك الشعراء قبل غيرهم أن القرآن الكريم ليس شعراً ومن فرط تكذيبهم وعنادهم قالوا: إن محمداً يتعلم القرآن من رجل أعجمي كان غلاماً لبعض بطون قريش ، وكان بياعاً يبيع عند الصفا ، وربما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يجلس إليه ويكلمه بعض الشيء ، وذاك كان أعجمي اللسان لا يعرف من العربية إلا اليسير، بقدر ما يرد جواب الخطاب فيما لا بد منه ، ولهذا قال تعالى: (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ) [النحل: 103] ، أي فكيف يتعلم من جاء بهذا القرآن من فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة من رجل أعجمي؟ لا يقول هذا من له أدنى مسكة من العقل ، واعترضوا على طريقة نزول القرآن ، فطلبوا أن ينزل جملة واحدة ، مع أن نزوله مفرقاً أدعى لتثبيت قلوب المؤمنين به وتيسير فهمه وحفظه وامتثاله: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً) [الفرقان: 32] .

فلما اعترض المشركون على القرآن , وعلى من أنزل عليه بهذه الاعتراضات تحداهم الله بأن يأتوا بمثله ، وأعلن عن عجز الإنس والجن مجتمعين عن ذلك: (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) [الإسراء: 88].

بل هم عاجزون عن أن يأتوا بعشر سور مثله: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ - فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ وَأَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ) [هود: 13، 14] ، وحتى السورة الواحدة هم عاجزون عنها: (وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُّفْتَرَى مِن دُونِ اللهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ - أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [يونس: 37 - 38] ، فعجزهم مع أن الفصاحة كانت من سجاياهم ، وكانت أشعارهم ومعلقاتهم في قمة البيان دليل على أن القرآن كلام الله الذي لا يشبهه شيء في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله وأقواله ، وكلامه لا يشبه كلام المخلوقين .

**أساليب المشركين في محاربة الدعوة :**

أجمع المشركون على محاربة الدعوة التي عرَّت واقعهم الجاهلي , وعابت آلهتهم وسفهت أحلامهم ، أي آراءهم وأفكارهم ، وتصوراتهم عن الله والحياة والإنسان والكون ، فاتخذوا العديد من الوسائل والمحاولات لإيقاف الدعوة وإسكات صوتها ، أو تحجيمها وتحديد مجال انتشارها ، وأهم هذه الوسائل :

**1- محاولة قريش لإبعاد أبي طالب عن مناصرة وحماية رسول الله صلى الله عليه وسلم:**

«جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا فانهه عنا ، فقال أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن بني عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم ، فانته عن أذاهم ، فحلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ببصره إلى السماء فقال: «ترون هذه الشمس؟» قالوا: نعم، قال: «فما أنا بأقدر أن أدع ذلك منكم على أن تشعلوا منها بشعلة» وفي رواية: «والله ما أنا بأقدر أن أدع ما بعثت به من أن يشعل أحد من هذه الشمس شعلة من نار» فقال أبو طالب: «والله ما كذب ابن أخي قط ، فارجعوا راشدين» ، وحاولت قريش مرات عديدة الضغط على رسول الله صلى الله عليه وسلم بواسطة عائلته ولكنها فشلت .

ذاع أمر حماية أبي طالب لابن أخيه , وتصميمه على مناصرته وعدم خذلانه ، فاشتد ذلك على قريش غمّاً وحسداً ومكراً , فمشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة ، فقالوا له: «يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد , أنهد فتى في قريش , وأجملهم ، فلك عقله ونصره ، واتخذه ولداً فهو لك ، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي خالف دينك ، ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك وسفه أحلامنا ، فنقتله فإنما هو رجل برجل» قال: «والله لبئس ما تسومونني أتعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني فتقتلونه ، هذا والله ما لا يكون أبداً» .

ربط أبو طالب مصيره بمصير ابن أخيه محمد صلى الله عليه وسلم ، بل واستفاد من كونه زعيم بني هاشم أن ضم بني هاشم وبني المطلب إليه في حلف واحد على الحياة والموت ، تأييداً لرسول الله صلى الله عليه وسلم , مسلمهم ومشركهم على السواء , وأجار ابن أخيه محمداً إجارة مفتوحة لا تقبل التردد أو الإحجام ، كانت هذه الأعراف الجاهلية والتقاليد العربية تسخر من قبل النبي صلى الله عليه وسلم لخدمة الإسلام ، وقد قام أبو طالب حين رأى قريشاً تصنع ما تصنع في بني هاشم وبني المطلب ، فدعاهم إلى ما هو عليه ، من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام دونه ، فاجتمعوا إليه وقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه ، إلا ما كان من أبي لهب عدو الله اللعين .

فلما رأى أبو طالب من قومه ما سره من جهدهم معهم ، وحدبهم عليه ، جعل يمدحهم ، ويذكر قديمهم ، ويذكر فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ، ومكانه منهم ليشد لهم رأيهم ، وليحدبوا معه على أمره .

وحين حاول أبو جهل أن يخفر جوار أبي طالب تصدى له حمزة ، فشجه بقوسه ، وقال له: تشتم محمداً وأنا على دينه ، فرد ذلك إن استطعت ، إنها ظاهرة فذة أن تقوم الجاهلية بحماية من يسب آلهتها ، ويعيب دينها ، ويسفه أحلامها ، وباسم هذه القيم يقدمون المهج والأرواح ، ويخوضون المعارك والحروب ، ولا يُمسُّ محمد صلى الله عليه وسلم بسوء .

ولما خشي أبو طالب دهماء العرب أن يركبوه مع قومه ، قال قصيدته التي تعوذ فيها بحرمة مكة ، وبمكانه منها ، وتودد فيها أشراف قومه ، وهو على ذلك يخبرهم في ذلك من شعره أنه غير مُسْلِمٍ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، ولا تاركه لشيء أبداً حتى يهلك دونه ، وتعوذ بالبيت وبكل المقدسات التي فيه ، وأقسم بالبيت بأنه لن يسلم محمداً ولو سالت الدماء أنهاراً واشتدت المعارك مع بطون قريش .

لقد كان كسب النبي صلى الله عليه وسلم عمه في صف الدفاع عنه ، نصراً عظيماً ، وقد استفاد صلى الله عليه وسلم من العرف القبلي فتمتع بحماية العشيرة ، ومنع من أي اعتداء يقع عليه , وأعطى حرية التحرك والتفكير، وهذا يدل على فهم النبي صلى الله عليه وسلم للواقع الذي يتحرك فيه , وفي ذلك درس بالغ للدعاة إلى الله تعالى, للتعامل مع بيئتهم ومجتمعاتهم والاستفادة من القوانين والأعراف والتقاليد لخدمة دين الله .

**2- محاولة تشويه دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم :**

قام مشركو مكة بمحاولة تشويه دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم , ولذلك نظمت قريش حرباً إعلامية ضده لتشويهه , قادها الوليد بن المغيرة ، حيث اجتمع مع نفر من قومه ، وكان ذا سن فيهم ، وقد حضر موسم الحج فقال لهم: يا معشر قريش إنه قد حضر الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ، ويرد قولكم بعضه بعضاً ، فقالوا: فأنت يا أبا عبد شمس , فقل وأقم لنا رأياً نقول به ، قال: بل أنتم قولوا أسمع ، فقالوا: نقول كاهن ، فقال: ما هو بكاهن، لقد رأيت الكهان فما هو بزمزمة الكاهن وسجعه ، فقالوا: نقول مجنون ، فقال: ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو تخنقه , ولا تخالجه ولا وسوسته ، فقالوا: نقول شاعر ، فقال: ما هو بشاعر، قد عرفنا الشعر برجزه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر ، قالوا: فنقول ساحر ، قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السحّار وسحرهم ، فما هو بنفثه ، ولا عقده ، قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة وإن أصله لعذق وإن فرعه لجناة ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل ، وإن أقرب القول لأن تقولوا: ساحر، فقولوا: ساحر يفرق بين المرء وبين أبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجه ، وبين المرء وعشيرته ، فأنزل الله تعالى في الوليد: (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا - وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا - وَبَنِينَ شُهُودًا - وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا - ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ - كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآَيَاتِنَا عَنِيدًا - سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا - إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ - فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ - ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ - ثُمَّ نَظَرَ - ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ - ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ - فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ - إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ - سَأُصْلِيهِ سَقَرَ) [المدثر: 11 - 26] .

ويتضح من هذا الخبر عظمة النبي صلى الله عليه وسلم وقوته في التأثير بالقرآن على سامعيه ، فالوليد بن المغيرة كبير قريش ومن أكبر ساداتهم ، ومع ما يحصل عادة للكبراء من التكبر والتعاظم فإنه قد تأثر بالقرآن ، ورق له ، واعترف بعظمته ووصفه بذلك الوصف البليغ وهو في حالة استجابة لنداء العقل ، ولم تستطع تلك الحرب الإعلامية المنظمة أن تحاصر دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم , بل استطاع محمد صلى الله عليه وسلم أن يخترق حصار الأعداء , الذين لم يكتفوا بتنفير ساكني مكة من رسول الله صلى الله عليه وسلم , وتشويه سمعته عندهم , بل صاروا يتلقون الوافدين إليهم ليسمموا أفكارهم , وليحولوا بينهم وبين سماع كلامه ، والتأثر بدعوته ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم النجاح في دعوته , بليغًا في التأثير على من خاطبه ، حيث يؤثر على من جالسه بهيئته وسمته ووقاره , قبل أن يتكلم ، ثم إذا تحدث أَسَرَ سامعيه بمنطقه البليغ المتمثل في العقل السليم , والعاطفة الجياشة بالحب والصفاء , والنية الخالصة في هداية الأمة , بوحي الله تعالى .

**أسلوب المفاوضات :**

اجتمع المشركون يوماً ، فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر، والكهانة والشعر، فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وعاب ديننا ، فليكلمه ، ولينظر ماذا يردُّ عليه؟ فقالوا: ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة ، فقالوا: أنت يا أبا الوليد ، فأتاه عتبة فقال: يا محمد أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت ، وإن كنت تزعم أنك خير منهم ، فتكلم حتى نسمع قولك ، إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك ، فرقت جماعتنا، وشتت أمرنا ، وعبت ديننا ، وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم: أن في قريش ساحراً ، وأن في قريش كاهناً ، والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى ، أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى .

أيها الرجل: إن كان إنما بك الحاجة , جمعنا لك من أموالنا ، حتى تكون أغنى قريش رجلاً ، وإن كان إنما بك - الباه - فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشراً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «فرغت؟» قال: نعم، فقال رسول الله: (حم - تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) إلى أن بلغ (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) فقال عتبة: حسبك ، ما عندك غير هذا؟ قال: «لا» فرجع إلى قريش فقالوا: ما وراءك؟ قال: ما تركت شيئًا أرى أنكم تكلمونه إلا كلمته ، قالوا: فهل أجابك؟ فقال: نعم ، وفي رواية ابن إسحاق: فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة . يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوا ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به ، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ، قال: هذا رأيي فاصنعوا ما بدا لكم .

واستمع الصحابة لما حدث بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين عتبة ، وكيف رفض حبيبهم صلى الله عليه وسلم كل عروضه المغرية ، فكان ذلك درساً تربويّاً خالط أحشاءهم ، تعلموا منه الثبات على المبدأ ، والتمسك بالعقيدة ، ووضع المغريات تحت أقدام الدعاة .

وذكرت بعض كتب السيرة بأن قيادات مكة دخلوا في مفاوضات بعد ذلك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرضوا عليه إغراءات تلين أمامها القلوب البشرية ممن أراد الدنيا , وطمع في مغانمها إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ موقفا حاسمًا في وجه الباطل دون مراوغة أو مداهنة , أو دخول في دهاء سياسي, أو محاولة وجود رابطة استعطاف أو استلطاف مع زعماء قريش ؛ لأن قضية العقيدة تقوم على الوضوح والصراحة والبيان بعيدة عن المداهنة والتنازل ؛ ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما بي ما تقولون , ما جئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً ، وأنزل علي كتاباً وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم من الدنيا والآخرة ، وإن تردوا علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم» .

ولما رأى المشركون صلابة المسلمين واستعلاءهم بدينهم , ورفعة نفوسهم فوق كل باطل ، ولما بدأت خطوط اليأس في نفوسهم من أن المسلمين يستحيل رجوعهم عن دينهم سلكوا مهزلة أخرى من مهازلهم الدالة على طيش أحلامهم , ورعونتهم الحمقاء ، فأرسلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم الأسود بن عبد المطلب , والوليد بن المغيرة ، وأمية بن خلف ، والعاص بن وائل ، فقالوا: يا محمد ، هلم فلنعبد ما تعبد , وتعبد ما نعبد ، فنشترك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبد خيراً مما نعبد ، كنا قد أخذنا بحظنا منه ، وإن كان ما نعبد خيرًا مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه» ، فأنزل الله فيهم: (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ - لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ – وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ - وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ - وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ - لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) [الكافرون] .

وجاء وفد آخر بعد فشل الوفد السابق ، يتكون من عبد الله بن أبي أمية ، والوليد بن المغيرة ، ومكرز بن حفص، وعمرو بن عبد الله بن أبي قيس ، والعاص بن عامر جاء ليقدم عرضاً آخر للتنازل عن بعض ما في القرآن ، فطلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن ينزع من القرآن ما يغيظهم من ذم آلهتهم ، فأنزل الله لهم جواباً حاسماً ، قال تعالى: (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) [يونس: 15] .

وهذه الوفود والمفاوضات تبين مدى الفشل الذي أصاب زعماء قريش في عدم حصولها على التنازل الكلي عن الإسلام ، الأمر الذي جعلها تلجأ إلى طلب الحصول على شيء من التنازل .

**الحصار الاقتصادي والاجتماعي في آخر العام السابع من البعثة :**

ازداد إيذاء المشركين من قريش , أمام صبر الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين على الأذى وإصرارهم على الدعوة إلى الله ، وإزاء فشو الإسلام في القبائل ، وبلوغ الأذى قمته في الحصار المادي والمعنوي , الذي ضربته قريش ظلماً وعدواناً على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه , ومن عطف عليهم من قرابتهم .

قال الزهري: «ثم إن المشركين اشتدوا على المسلمين كأشد ما كانوا , حتى بلغ المسلمين الجهد ، واشتد عليهم البلاء ، واجتمعت قريش في مكرها , أن يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم علانية ، فلما رأى أبو طالب عمل القوم جمع بني عبد المطلب , وأمرهم أن يدخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبهم , ويمنعوه ممن أراد قتله ، فاجتمعوا على ذلك مسلمهم وكافرهم ، فمنهم من فعله حمية ، ومنهم من فعله إيماناً ويقيناً ، فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم , فأجمعوا أمرهم ألا يجالسوهم ولا يبايعوهم ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل ، وكتبوا في مكرهم صحيفة وعهوداً ومواثيق ، لا يتقبلوا من بني هاشم أبداً صلحاً ، ولا يأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل ، وفي رواية: ... على ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم ، ولا يدعوا سبباً من أسباب الرزق يصل إليهم ، ولا يقبلوا منهم صلحًا، ولا تأخذهم بهم رأفة ، ولا يخالطوهم ، ولا يجالسوهم ، ولا يكلموهم ، ولا يدخلوا بيوتهم ، حتى يسلموا إليهم رسول الله للقتل ، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم .

فلبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين ، واشتد عليهم البلاء والجهد ، وقطعوا عنهم الأسواق ، فلا يتركوا طعاما يقدم من مكة ولا بيعاً إلا بادروهم إليه فاشتروه ، يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى فراشه , حتى يراه من أراد به مكرًا أو غائلة ، فإذا نام الناس أخذ أحد بنيه أو إخواته أو بني عمه , فاضطجع على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم , وأمر رسول الله أن يأتي بعض فرشهم فيرقد عليها ، واشتد الحصار على الصحابة , وبني هاشم , وبني المطلب , حتى اضطروا إلى أكل ورق الشجر، وحتى أصيبوا بظلف العيش وشدته ، إلى حد أن أحدهم يخرج ليبول فيسمع بقعقعة شيء تحته ، فإذا هي قطعة من جلد بعير فيأخذها فيغسلها ، ثم يحرقها ثم يسحقها ، ثم يستفها ، ويشرب عليها الماء فيتقوى بها ثلاثة أيام ، وحتى لتسمع قريش صوت الصبية يتضاغون من وراء الشِّعب من الجوع .

فلما كان رأس ثلاث سنين ، قيض الله سبحانه وتعالى لنقض الصحيفة أناساً من أشراف قريش ، وكان الذي تولى الانقلاب الداخلي لنقض الصحيفة هشام بن عمرو الهاشمي، فقصد زهير بن أبي أمية المخزومي ، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب , فقال له: يا زهير، أقد رضيت أن تأكل الطعام ، وتلبس الثياب وتنكح النساء ، وأخوالك حيث قد علمت؟ لا يبتاعون ، ولا يبتاع منهم ، ولا ينكحون ولا ينكح إليهم ، أما إني أحلف بالله لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام ، ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه منهم, ما أجابك إليه أبداً , قال: ويحك يا هشام فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد ، والله لو كان معي رجل آخر لقمت في نقضها ، فقال له: قد وجدت رجلاً ، قال: من هو؟ قال: أنا ، فقال له زهير: أبغنا ثالثاً .

فذهب إلى المطعم بن عدي ، فقال له: أقد رضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف ، وأنت شاهد على ذلك ، موافق لقريش فيهم؟ أما والله لو أمكنتموهم من هذه لتجدنهم إليها منكم سراعاً قال: ويحك فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد قال: قد وجدت لك ثانياً: قال من؟ قال: أنا ، قال: أبغنا ثالثًا: قال: قد فعلت ، قال: من؟ قال زهير بن أبي أمية ، فقال أبغنا رابعاً ، فذهب إلى أبي البختري بن هشام ، فقال له نحو ما قال للمطعم بن عدي ، فقال له: ويحك وهل نجد أحد يعين على ذلك؟ قال: نعم ، زهير بن أبي أمية ، والمطعم بن عدي ، وأنا ، فقال: أبغنا خامساً ، فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، فكلمه وذكر له قرابته وحقهم ، فقال له: وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد؟ قال نعم ، ثم سمى له القوم ، فاتَّعدوا خطم الحجون ليلاً بأعلى مكة ، فاجتمعوا هناك ، وأجمعوا أمرهم ، وتعاقدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها ، وقال زهير: أنا أبدؤكم فأكون أول من يتكلم ، فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم ، وغدا زهير بن أبي أمية عليه حلة ، فطاف بالبيت سبعاً ، ثم أقبل على الناس فقال: أنأكل الطعام ، ونلبس الثياب ، وبنو هاشم هلكى لا يبتاعون ، ولا يبتاع منهم ، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة ، فقال أبو جهل ، وكان في ناحية المسجد: كذبت والله لا تشق ، فقال زمعة ابن الأسود: أنت والله أكذب ما رضينا كتابتها حين كُتبت ، فقال أبو البختري: صدق زمعة لا نرضى ما كُتبت فيها ، ولا نقر به ، فقال المطعم بن عدي: صدقتما ، وكذب من قال غير ذلك ، نبرأ من الله منها ومما كتب فيها ، وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك؟ فقال أبو جهل: هذا أمر قضي بليل ، تُشووِر فيه في غير هذا المكان ، وأبو طالب جالس في ناحية المسجد لا يتكلم .

وقام المعطم بن عدي إلى الصحيفة ليشقها ، فوجد الأرضة قد أكلتها إلا (باسمك اللهم) ، وروى ابن إسحاق أن الله عز وجل أرسل على الصحيفة الأرضة فلم تدع فيها اسماً لله عز وجل إلا أكلته ، وبقي فيها الظلم والقطعية والبهتان وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك عمه فذهب أبو طالب إلى قومه وأخبرهم بذلك ، وقال لهم: فإن كان كاذباً فلكم علي أن أدفعه إليكم تقتلونه ، وإن كان صادقاً فهل ذلك ناهيكم عن تظاهركم علينا؟ فأخذ عليهم المواثيق وأخذوا عليه ، فلما نشروها فإذا هي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المطعم بن عدي وهشام بن عمرو: نحن براء من هذه الصحيفة القاطعة العادية الظالمة ، ولن نمالئ أحداً في فساد أنفسنا وأشرافنا ، وتتابع على ذلك ناس من أشراف قريش فخرجوا من الشِّعب .